مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

12

العدد الثاني عشر

مارس2016م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

صدق الله العظيم

(سورة الرعد - آيه 17)

هيئة التحريـــــر

- د. علي سالم جمعة رئيساً
- د. أنور عمر أبوشينة عضواً
- د. أحمد مريحيل حريبش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

- كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة راي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة اية مسؤلية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الانسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د .احمد)- أو (00218926308360 د. انور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

-تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الاسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

-ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

-نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

-ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر-عدد صفحات الكتاب-اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة

في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.ـ

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط اذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

–لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية ، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

–تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن ان يرسل الى محكم اخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

– يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

–تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان

المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

-ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

-الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية ونخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الالكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

-تقدم البحوث الى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

-اذا تم ارسال البحث عن طريق البريد الالكتروني او صندوق البريد يتم ابلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه او إبداء رغبته في عدم متابعة

إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة او المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي(MS Word).

– يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
–يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

–يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

–في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

–يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

–يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

اولا :الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – إن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م،ج3،ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:– تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار نفس الاسم (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال امام جميع اعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- مشكلة الحدود السياسية في القارة الفريقية
د عاشور مسعود النجار.....12
2- الحياة السياسية لقبائل لواته في منطقة مسلاته وظهيرها خلال العصر الوندالي (455 م – 533 م)
د. عياد اعبيليكة 33
3- الحوار الوطني في تراث الثقافة السياسية الليبية تحت الاستعمار 1911- 1922م
دراسة في التقاطع والمسار التاريخي للتجربة الليبية في آليات الحوار وبناء السلم وفض النزاعات
د. عزالدين عبدالسلام العالم 44
4- سورة التوبة معان وأحكام فقهية
د. امحمد عبد الحميد المدني.....67
5- نظرية الفيض بين الفلاسفة والمتكلمين (الفارابي والكرماني أنموذجاً)
د: آمنة عبدالسلام الزائدي.....99
6- قطع أشجار الغابات وآثاره على عملية التصحر (في المنطقة الممتدة من تاجوراء إلى غرب مدينة الخمس)
د. الهادي عبد السلام عليوان 122
7-موقف الشريعة الإسلامية من استخدام مشتقات الخنزير في المواد الاستهلاكية
د. عبد العزيز عبد المولى علي.....136
8- اللمسات الفنيّة للمحذوف (سورة البقرة أنموذجاً)
د. علي عبد السلام بالنور 158

9- أوضاع مدينة لبدة الكبرى خلال حكم الأسرة السيفيرية (192 – 235م)

د.عبد السلام عبد الحميد أبو القاسم..... 189

10- العلاقات الثقافية بين مدينة فاس وبعض أقاليم العالم الإسلامي
448-541هـ/1056-1146م

د. فتحية محمد الوداني.....208

11- العلاقات المكانية الصناعية لمنطقة مصراته

د.ابتسام عبدالسلام كشيب.....248

12- واقع وآفاق الخدمات التعليمية للتعليم المتوسط لمنطقة الخمس عام 2015م

د.بشير عمران أبوناجي و د.أنورعمر أبوشينة.....276

13- نموذج نظري لتصور العلاقة بين الاكتئاب وتصور الانتحار

د. عثمان علي أميمن و أ. زينب محمد حمودة.....301

14- التنبؤ بأثر الرضا الوظيفي، وفعالية الذات في خفض الضغوط النفسية دراسة أمبريقية على عينة من أطباء مستشفى زليتن التعليمي

د. مفتاح محمد أبوجناح..... 333

15- علاقات أباضيي ورقلة التجارة مع شمال الصحراء وجنوبها

د.لمياء محمد شرف الدين.....370

16-Exploring English teachers' beliefs about CLT and difficulties in implementing it in Libyan schools

Rabiah Mohammed Almalul.....410

17-Caravan trade between Kuwait and "markets of Arabian Peninsula, Levant and Southern Iraq" in the pre-oil era
(A study in modes and relations of production)

D. Mustafa Ahmed Sakr.....421

العلاقات الثقافية بين مدينة فاس وبعض أقاليم العالم الإسلامي 448-541هـ/1056-1146م

إعداد: د. فتحية محمد الوداني[1]

المقدمة

ملأت مدينة فاس بعد تأسيسها فراغًا حضاريًا في العالم الإسلامي، فكما كان تأسيس القيروان هو الخطوة الأولى في قيام حضارة إفريقية الإسلامية، كذلك كان تأسيس مدينة فاس الخطوة الحاسمة في قيام حضارة المغرب الأقصى، حيث أصبحت فاس مركزًا رئيسيًا للثقافة العربية الإسلامية، وعملت على تثبيت مكانتها العلمية الثقافية إلى جانب مراكز العلوم الإسلامية الأخرى[2]، فتناوبت مع عواصم الشرق الإسلامي حمل راية الحضارة الإسلامية، وكانت فاس مركزًا للإشعاع الفكري الروحي[3]، فقصدها "الناس من معظم أقطار العالم الإسلامي"[4]، فساعدها ذلك على الازدهار الثقافي، حتى وصفت من قبل البعض بما نصه: "فليس بالمغرب مدينة أخرى عرفت من توالي الهجرات ما عرفته مدينة فاس، هجرات داخلية من المدن والقبائل ومن الصحراء وما وراءها، وهجرات خارجية من الأندلس ومن المغربين الأدنى والأوسط ومن المشرق العربي والعجمي"[5].

ويؤكد الجحوي أن "عوام مدينة فاس أحسن فكرًا وأجود تصورًا من بعض علماء بقية المغرب، بوجود نبراس عظيم يستضيئون به، وهو معهد القرويين الذي طما بحر معارفه فتدفق على منتدياتها ودورها، فقلما تجد مجمعًا لا يوجد فيه عالم يجتمعون عليه ويقتبسون من معلوماته"[6]. يكشف قول الجحوي السابق . مع ما فيه من مبالغة . عن أمور، أهمها

---

[1])قسم التاريخ كلية الآداب جامعة مصراتة.

[2] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (دار النهضة العربية، القاهرة، 1989م)، ص117.

[3]محمد بن تاويت ومحمد الصادق: الأدب المغربي، (دار الثقافة، المغرب، ط2، 1978)، ص57.

[4] الجزنائي: جنى زهر الآس، ط/3، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، (المطبعة الملكية، الرباط، 1429هـ/2008م)، ص94.

[5] محمد حجي: جولات تاريخية، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م)، ج/2،ص743.

[6]التاريخ الفكري والثقافي للقرويين، (مجلة دعوة الحق، مجلة تصدرها وزارة الأوقاف الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد الخاص عن جامع القرويين، تحت رقم 364، السنة 2002م)، ص35.

حرص أهالي فاس على العلم، وكثرة علمائهم الذين يؤخذ عنهم، ونشاط الحركة الفكرية في المدينة، وهو ما أهلها لإقامة علاقات ثقافية مع غيرها من مدن العالم الإسلامي، الذي نسعى من خلال هذا الموضوع تسليط الضوء على تلك العلاقات التي كان لها دور مهم في إثراء الحياة الثقافية في مدينة فاس بشكل خاص، والحضارة الإسلامية بشكل عام.

أولاً/ العوامل المؤثرة في العلاقات الثقافية:

1- موقف الحكام والأمراء من العلماء:

اتبع حكام المرابطين وولاتهم بعد تأسيس الدولة سياسة تشجيع العلم والعلماء[1]، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان "يقدر الفقهاء والعلماء ويجلهم ويعظم مكانتهم، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها برأيهم، ويقضي على نفسه بفتياهم"[2]، كما كان مكرمًا لهم[3]. ولم يكن هذا التكريم مقتصرًا على علماء المغرب الأقصى وفقهائهم، بل رحب بكل العلماء وخاصة علماء الأندلس[4]، حيث رحل إلى حضرته عدد كبير منهم ليكونوا في ظله وتحت رعايته[5]، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس[1]، وفي عهده ازداد نفوذ

---

[1]ابن أبي زرع: روض القرطاس، ط/2، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، (المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/ 1999م)، ص173؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط/2، تحقيق: عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م)، ج/8، ص236-237؛ ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ط/4، تحقيق: محمد عبد الله عنان،(مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ/2001م)، مج/4 ، ص349. السلاوي: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ط/2، تحقيق: محمد عثمان، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ/2007م)، ج/1،ص215.

[2]ابن عذاري: البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، ط/3، تحقيق: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، (الدار العربية للكتاب، حقوق الطبع والنشر لدار الثقافة، بيروت، 1983م)، ج/4،ص46 .

[3]ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173 .

[4] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مكتبة الخانجي، القاهرة ،1980م)، ص444-446.

[5]المرجع نفسه.

الفقهاء وسمت مكانتهم، فإليهم يعود الفضل في جوازه إلى الأندلس[2]، بل لا نبالغ إذا قلنا إنهم يعدون أحد الركائز الأساسية في توطيد حكمه في الأندلس.

كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدين (ت508هـ/1114م)، قائلاً له: "قد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تمضيه ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيه، ونحن أولاً وكلهم آخره مذ صرت قاضيًا، سامعون منك غير معترضين في حق عليك"[3]، وهذا يؤكد المكانة التي حظى بها الفقهاء في زمن ابن تاشفين.

أما علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م) الذي عاش فترة كبيرة من حياته بالأندلس، واليًا عليها من قبل أبيه[4]، فقد استهوته الثقافة الأندلسية، فنهل منها[5]، حيث: "كان يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين"[6]، وكان كأبيه محبًا للعلماء والفقهاء مقربًا لهم[7]، فتعاظم نفوذهم في عهده

---

[1] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، (د.ن، القاهرة، 1963م)، ص144.

[2] نجوى أبو بكر محمد حسن: فقهاء المالكية في الأندلس في عصر المرابطين وأثرهم في الحياة السياسية (رسالة ماجستير، جامعة جنوب الوادي، الجزائر، كلية الآداب 1424هـ/2003م) ص63 .

[3] ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م)، مج/2، ص160-161، والنص المقتبس من الرسالة ص161. قاضي الجماعة هو: محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي كان حافظًا وأديبًا شاعرًا لغويًا أصوليًا تولى قضاء قرطبة سنة (490هـ/1096م)، وكان من أهل الجزالة والصرامة، وهو من بيت علم ونباهة وفضل وجلالة . انظر: ابن بشكوال: كتاب الصلة ومعه صلة الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م).مج/2،ص208 .

[4] مجهول: الحلل الموشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م)، ص84 .

[5] حسن علي حسن: المرجع السابق، ص497.

[6] المراكشي: المصدر السابق، ص150.

[7] النويري: نهاية الأرب، تحقيق: حسين نصار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م)، ج/24،ص273؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ط/1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة

حتى بلغوا مبلغًا عظيمًا لم يبلغوا مثله من قبل[1]. وبلغ تكريمه لهم، أنه كان يخرج بنفسه لزيارتهم، كخروجه لزيارة ابن يلارزج (ت540هـ/1145م) أحد فقهاء المالكية[2]، ولم يزل علي بن يوسف من أول إمرته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك، وقد استعملهم كوزراء وكتاب في عهده[3].

وحين ورث تاشفين بن علي (537-539هـ/1142-1144م) الحكم عن أبيه، سار على سياسة سلفه تجاه الفقهاء والعلماء[4]، وسلك طريق ناموس الشريعة ومال إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين[5].

لم تقتصر عناية المرابطين بالثقافة والعلماء على أمراء المسلمين منهم، بل امتدت لتشمل أغلب الأمراء من البيت المرابطي، فقد أقبل الأمراء والنبلاء على الثقافة والعلم يقلد كل منهم أمير المسلمين في تشجيعه للعلم والعلماء، واتخذوا الشعراء والأدباء جلساء وقربوا إليهم الفقهاء والعلماء والفلاسفة[6]، إلى جانب تحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم مما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم التي كانت ملاكًا لعزهم ومقاما لسلطانهم وملكهم[7].

الرساله، (بيروت، 1417هـ/1996م), ج/20ص124؛ عبد الحي الحنبلي: شذرات الذهب، ط/1، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1986م)، مج/2،ج/4،ص115.

[1] المراكشي: المصدر السابق، ص150 .

[2] التادلي: التشوف، ط/3، تحقيق: أحمد توفيق، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م)،ص152 .

[3] المراكشي: المصدر السابق، ص151 .

[4] نجوى أبو بكر محمد حسن: المرجع السابق، ص71 .

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج/4، ص79.

[6] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م)،ص439 .

[7] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط/5، (دار القلم، بيروت، 1985م)،ج/6،ص105 .

ومما يدل على اهتمام ولاة المرابطين بالعلم والثقافة، أنهم كانوا يرسلون في طلب العلماء إلى قصورهم، فيروى أن الفقيه علي بن حرزهم (ت559هـ/1163م) جاء من مدينة فاس إلى مراكش فاستدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ عنه، فدخل عليه أبو الحسن وهو على سريره فجلس أبو الحسن تحته فقال له: أهكذا كنت تفعل مع من كنت تتعلم منه؟ قال له: نعم. فقال له أبو الحسن: انزل إلى مكاني وأكون أنا في مكانك فأجابه الأمير إلى ذلك، فنزل عن سريره وجلس عليه أبو الحسن، فلازمه[1].

ينفى ما تقدم عن دور المرابطين في نهضة الحياة الثقافية في فاس ما تردد من ادعاءات ساقها مؤرخو الدولة الموحدية[2]، وتبعهم في ذلك بعض المستشرقين[3]، من أن الدولة المرابطية لم تكن سوى دولة عسكرية غلبت عليها روح التزمت التي دفعتها إلى تجاهل القيم الفكرية والأدبية[4]، ربما كان وراء هذه الادعاءات التعصب الديني والمذهبي والسياسي من الموحدين ضد المرابطين، ولعله يرجع أيضًا إلى غياب الكتابة التاريخية الرسمية في الدولة المرابطية[5].

من المؤكد أن دولة المرابطين لم تكن بطبيعتها البدوية الصحراوية تميل إلى الأخذ بأساليب التمدن، لذلك غلب عليها نهج الفقهاء أكثر من الأدباء والفلاسفة. ومع ذلك فقد

---

[1] التادلي: المصدر السابق، ص169 .

[2] انظر على سبيل المثال: البيدق، حيث نجد بابًا خاصًا في ذكر مثالب المرابطين. كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م)، ص86، 90. وكذلك عبد الواحد المراكشي: في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص154، والشقندي في رسالته التي كتبها في فضل الأندلس، وهاجم فيها يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، متهمًا إياه بالجهل. قائلاً: الذي لولا توسط ابن عباد لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكرًا، ولا رفعوا لملكه قدرًا.
انظر: المقري: نفح الطيب، ط/1، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (دار الفكر، بيروت، 1419هـ/1998م)،ج/4،ص27- 55.

[3] انظر: مؤلفات دوزي وخاصة كتابه الخاص بتاريخ المسلمين في اسبانيا، Dozy (R): Histoire des des Musulmans d'Esagne, Three vols, leyde, 1932m. .

[4] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص441 .

[5] محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (مكتبة الخانجي: القاهرة، 1996م)، ص438-439.

بدأت الحركة العلمية والأدبية تزدهر منذ عهد الأمير علي بن يوسف بعد أن أخذ المرابطون بنصيب من الحضارة لا بأس به[1]، حتى إذا تمكن المغرب من نفسه وامتلأت مدارسه بالحياة، ووثق في مقدرته وعطائه، بدأ يخرج ألوانًا أندلسية مغربية تفوق ما عرف من الألوان المشرقية في مختلف أنواع المعارف، من علوم القرآن والحديث، والشعر والنثر والفلسفة والطب وغيرها.

2- هجرة العلماء إلى فاس:

نجح المرابطون في الوقوف أمام عرب بني هلال ليحموا المغرب الأوسط والأقصى من شرهم ومنعهم من أن يعيثوا فسادًا كما فعلوا بإفريقية (المغرب الأدنى) من قبل، مما جعل علماء إفريقية يسعون إلى الهجرة إلى بلاد المرابطين الآمنة وضمنها فاس[2]، وبذلك صان المرابطون تراث الحضارة العربية الإسلامية وبسطوا ظل حمايتهم على العلماء، لتزداد مدارس المغرب الأقصى في كنفهم تفوقًا وتألقًا، حتى قيل أن فاس ومساجدها ورثت تقاليد القيروان وخلفتها في مضمار الثقافة الإسلامية: "فكأن نكبة القيروان قد عملت على تفوق مدارس المغرب الأقصى وبروزها في ميدان الحضارة وتألق نجمها في عالم الثقافة"[3].

دخل فاس من علماء القيروان بعد تدمير عرب بني هلال لها الكثير، منهم أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف النحوي (ت513هـ/1119م) التوزري الأصل، المنسوب إلى القيروان، وكان له معرفة بعلم الكلام على منهج الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد حاول أن يعلمه داخل مساجد فاس، غير أن قاضي فاس منعه من ذلك[4].

---

[1] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1430هـ/2009م.)، ج/1،ص226 .

[2] الحسن السائح: الحضارة المغربية "البداية والاستمرار"، ط/2، (منشورات عكاظ، الرباط، 2004م)، ج/2،ص63 .

[3] المرجع نفسه.

[4] التادلي: المصدر السابق، ص95-101؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، (دار الفكر، لبنان، 1415هـ/1995م)، ج/4،ص226 ؛ ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م) ص229-304 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م)،

ومن علماء القيروان الوافدين على فاس إثر هجمة بني هلال عليها نذكر، الأديب الشاعر أبا الطيب عبد المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري القيرواني (ت493هـ/1099م)[1]، ومحمد بن إبراهيم المهدوي (ت595هـ/1198م)، صاحب كتاب الهداية[2].

يرتبط بالعامل السابق عامل آخر يتمثل في هجرة علماء الأندلس بعد فتنة عصر الطوائف وما شهدته الأندلس من فوضى واضطرابات وعدم استقرار، حيث عجت فاس بكثير من علماء الأندلس الذين استقروا فيها أثناء هذه الفتنة وبعدها[3].

ومن علماء الأندلس الذين رحلوا عنها ودخلوا فاس بعد ما شهدته الأندلس من اضطرابات، عالم الحديث يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس الأنصاري الشاطبي، وقد توفى بفاس سنة 505هـ/1111م[4]، واللغوي إبراهيم ابن صواف الحجري الشاطبي (ت506هـ/1112م)[5]، وإمام اللغة العربية محمد بن أحمد بن باق السرقسطي (ت533هـ/1138م)[6]، والفقيه المحدث محمد بن أحمد ابن إبراهيم بن عيسى بن هشام (ت546هـ/1151م)[7]، والفقيه المحدث محمد بن أحمد البغدادي الخزرجي (ت546هـ/1151م) من أهل جيان، وقد خرج منها قبل وفاته بسبعة أعوام أي في سنة

ج/2،ص552-553 ؛ التنبكتي: نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (منشورات دار الكتاب، طرابلس، 1421هـ/2000م)، ص349-351.

[1] ابن بشكوال: المصدر السابق، مج/1،ص34 ؛ ابن الأبار: المصدر السابق، ج/2،ص157.

[2] التادلي: المصدر السابق، ص332-334 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص273.

[3] أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، (دار النهضة العربية ، بيروت، د.ت)، ص259.

[4] الضبي: بغية الملتمس، ط/2، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م)، ص491.

[5] ابن الأبار: المصدر السابق، ج/1،ص122 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص88.

[6] السيوطي: بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م)، ج/1،ص66.

[7] المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، (دار الثقافة، بيروت، 1965م)، السفر الخامس، القسم الأول، ص582-584.

539هـ/1145م، واستقر في فاس[1]، وهؤلاء وغيرهم كان لهم دور بارز في إثراء الحياة الثقافية بفاس على نحو ما سنرى.

يتصل بالعاملين السابقين من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الثقافية في فاس زمن المرابطين، تدفق المرابطين أنفسهم إلى الأندلس حين هبوا لنجدتها من ملوك النصارى، إذ نتج عن ذلك اختلاط حضارة أقل رقيًا بحضارة مزدهرة، فبدأ المرابطون أصحاب الحضارة الأقل رقيًا في نقل مظاهر حضارة الأندلس المزدهرة، مما كان له بالغ الأثر في تاريخ الحضارة المغربية بشكل عام، والحياة الثقافية في فاس بشكل خاص[2].

ثانيًا/ العلاقات الثقافية بين فاس والأندلس: تضافرت عدة عوامل ساعدت على ربط الحياة الثقافية بين **الأندلس** و**المغرب** بما في ذلك مدينة **فاس** في العصر المرابطي أولها: الهجرات العربية التي لعبت دورًا كبيرًا في نقل الثقافة الإسلامية، ثانيها: الرحلات العلمية، وقد تحدث ابن خلدون عن الرحلة حديثًا بليغًا وبين فوائدها، ويرى أن في الرحلة لطلب العلم ولقاء المشيخة "مزيد كمال في التعليم ... والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة، وحصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[3]، ثالثها: موقع مدينة مدينة فاس المتوسط بين مدن المغرب الأقصى، فلم يكن أمام أهل العدوتين أية حواجز

---

[1] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص263.

[2] ابن عذارى: المصدر السابق، ج/4،ص46-47 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص63-66 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص 343؛ عبد العزيز بنعبد الله: مظاهر الحضارة المغربية (الدار البيضاء، د.ن ، 1958م)، ق/1،ص2 ؛ خليل إبراهيم السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية (منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1985م)، ص351 ؛ حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص428 ؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، ج/1،ص245 .

[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط/5، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (نهضة مصر، القاهرة، 2010م)، ج/3،ص1120.

تمنع تدفقهم فرادى أو جماعات من المغرب إلى الأندلس أو العكس، وقد ساعد ضيق الشقة بين العدوتين على عبور كثير من البربر إلى الأندلس[1]، بل إنه من العسير أن نجد فترة تاريخية لا تتصل فيها أي من العدوتين بالأخرى[2]. وهذا ساعد على توافد المغاربة على الأندلس دارسين ومعلمين وأدباء وتجارًا وموظفين وغير ذلك، ولا ريب أن هذه الصلات بدأت من وقت مبكر[3].

إن ضم المغرب والأندلس في عهد المرابطين في وحدة سياسية فتح أبواب الهجرات الفردية والجماعية على مصراعيها أمام الجميع، خاصة أن ولاة الأمر من المرابطين كانوا يرحبون بعلماء الأندلس وأدبائها ويغدقون عليهم الهبات ويتخذون منهم الوزراء والكتاب والقضاة وغير ذلك من مناصب الدولة الأخرى[4]، وكذلك استقبل المرابطون المزارعين والتجار الأندلسيين الذين ما لبثوا أن نشروا أفكارًا اقتصادية جديدة، تمخضت عنها تدريجيًا حركة تطورية طبعت مختلف مظاهر الحياة المغربية في فاس بطابع حضاري جديد لم يكن لأهلها عهد به في مجتمعاتهم واقتصادياتهم[5]، يضاف إلى ذلك هجرة الكثير من الأندلسيين إلى المدن المغربية فرارًا من المعارك التي شهدتها الساحة الأندلسية ضد النصارى، لينعموا بالاستقرار والطمأنينة[6].

---

[1] الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مطبعة بريل، ليدن، 1866م)، ص241 ومابعدها. وراجع: Edmond (B) :Berberes et Arabes (Paris , 1942m) p222.

[2] Edmond (B) , Nevill : A Survey , P20 .

[3] إبراهيم حركات : مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م، (دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 2000م) ص95 .

[4] محمد عادل عبد العزيز إبراهيم: أثر الأندلس الحضاري على المغرب، (أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1986م)، ص12.

[5] عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ق2/،ص22 .

[6] حسن علي حسن: المرجع السابق، ص445-446 .

ظهر التأثير الأندلسي على فاس مبكرًا في كثير من أنواع الفنون والصناعات التي عرفتها المدينة[1]، فقد شاهد أمراء المرابطين المهارة الفائقة التي تميز بها عمال البناء بالأندلس، في مختلف المنشآت من قصور ومساجد وحمامات وغيرها، مما حدى بهم للاستعانة بخبراء البناء بالأندلس ليسهموا في حركة التعمير[2]، فاستقدموا من قرطبة جملة من صناع وبنائين لإنجاز العديد من المشروعات العمرانية[3]، من مساجد وفنادق وحمامات وسقايات، كما شيد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في فاس قناطر للمجاز بين العدوتين، استعان فيها ببنائين ومهندسين أندلسيين، وهي قناطر أبي طوبة، وأبي برقوقة على وادي الرصيف، وباب السلسلة والصباغين، وكهف الواقادين والسادسة قنطرة الرميلة[4]، ثم أدار على العدوتين سورًا واحدًا، كما استعان الأمير علي بن تاشفين بمهندسين من الأندلس في بناء سور القوارجة التي بين باب الجيسة وباب يصليتن[5]، وكل ذلك جعل بعض المؤرخين يحكمون

---

[1] عبد العلي الوزاني: الدور الحضاري لمدينة فاس، (مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد الثاني، السنة السادسة عشر، 1393هـ/ 1973م)، ص166.

[2] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج/1،ص221 ؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص377.

[3] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، (دار النهضة العربية ، بيروت، 1981م)، ج/2،ص758-759 ؛ ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج/1،ص221.

[4] مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 9732 ميكروفيلم 10988). قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلي الجيلاني، ورقة 54-55 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص49-50. كان من أشهر تلك الزيادات التي تمت في جامع القرويين، والتي تحاكي في محاريبها ما وجد في مسجد قرطبة وغيره من مساجد الأندلس. انظر: مانويل جوميت مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا (ترجمة: لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز، د.م، د.ت)، ص337.

[5] الجزنائي: المصدر السابق، ص42 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص50.

بأن أروع عهود فاس تلك التي شهدت قيام العلاقات بينها وبين الأندلس على قدم وساق[1]. والواقع أن التأثير الأندلسي على فاس يرجع إلى زمن مبكر حين وفدت الكثير من العناصر الأندلسية ـ كما سبق وذكرنا ـ إليها حتى سميت إحدى عدوتيها باسم الأندلسيين، ومن الصعوبة بمكان أن تتخذ تلك العدوة ذلك الاسم لمجرد سكنى الأندلسيين بها، فمن الطبيعي أن يكون الأندلسيون حملوا معهم خبراتهم الحضارية المختلفة زراعية وحرفية وعمرانية وفنية. وقد أكد المؤرخ الفرنسي طيراس، لدى حديثه عن الفن المرابطي، أن معظم الزيادات التي تمت في العصر المرابطي من أروقة في جامع القرويين تمثل روائع الفن الأندلسي المقتبس طبق الأصل من الفن الأندلسي بما كان ينطوي عليه في القرن الخامس الهجري/ الحادي عش الميلادي من رقة ورشاقة وروعة زخرفة[2].

اتسع نطاق التأثير الأندلسي في فاس مع مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث بدأ توافد المغاربة عمومًا إلى قرطبة التي شهدت عناية كبيرة من قبل عبد الرحمن الناصر، ثم من نجله الحكم وأخيرًا من العامريين وأغدقت الجرايات والامتيازات على الدارسين والمدرسين مما شجع طلاب العلم والأساتذة المغاربة للرحلة إليها[3]، لاسيما أن المغاربة، وضمنهم أهل فاس، آمنوا بضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه، فلابد أن يقرأها عليه أو يسمعها منه حتى يعتبر الطالب ثقة في مادته العلمية وحجة في علمه[4].

تسهب المصادر في الحديث عن أهل فاس الذين وفدوا على الأندلس لينهلوا من دور العلم فيها خلال العصر المرابطي[5]،لاسيما أهل المغرب الأقصى بحكم الجوار أولاً والتبعية

---

[1] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ...، ج1ص221 ؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص337 ؛ عبد العلي الوزاني : المرجع السابق، 166.

[2] Terrasse, La reviviscence de L`Acanthe dans l`art hispano-mauresque, sous les ALmoravides, al-Andalus vol.XXVI, fasc 2, 1961m, p430.

[3] إبراهيم حركات : مدخل إلى تاريخ المغرب ...، ص95 .

[4] محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية، (تطوان، دار الطباعة المغربية، 1953م)، ص212.

[5] محمد عادل عبد العزيز إبراهيم : المرجع السابق، ص13-14 .

السياسية للسلطة المغربية ثانيًا، ناهيك عن حاجة الدولة المرابطية إلى الثقافة التي وجدتها في الأندلس ولم تجد في غيرها من الجهات الأخرى التي تشملها بنفوذها[1]، حتى أن الكثير من قضاة المغرب وعلماءه كانوا ممن تلقوا علومهم في مراكز العلم بالأندلس، ومن بينهم فقيه المرابطين ومنشئ حركتهم عبد الله بن ياسين، الذي وصل إلى الأندلس في عهد دويلات الطوائف ومكث هناك قرابة سبع سنوات، ثم عاد بعدها إلى المغرب[2].

تكشف لنا كتب الطبقات عن عدد كبير من أسماء علماء فاس الذين وفدوا على الأندلس ليجلسوا إلى فقهائه وعلمائه وأدبائه وشعرائه ليعودوا إلى بلادهم بذخيرة علمية يستفيدون ويفيدون بها[3]، ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن خلف بن الحسن بن الوليد السلمي (ت537هـ/1142م) الذي دخل الأندلس وسمع من عدد من المشايخ منهم أبو محمد بن عتاب (ت462هـ/1069م) [4]، وأبو علي الصدفي (ت514هـ/1120م) [1] بمرسية سمع منه كتاب "الموطأ" وأجاز له[2].

---

[1] إبراهيم حركات : مدخل إلى تاريخ ...، ص95 .

[2] مجهول : الحلل الموشية، ص20 .

[3] ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، (دار العلم للجميع، بيروت، 1374هـ/1955م)، ص41؛ ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ط/2، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م)، ص62 ؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م)، ص102؛ بيوتات فاس الكبرا، (دار المنصور للطباعة والرواقة، الرباط، 1972م)، ص10 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص84، ج/2،ص501، 537 ؛ حسن محمود : المرجع السابق، ص429-430 .

[4] أبو عبد الله محمد بن عتاب (ت462هـ/1069م) قرطبي شيخ المفتين بها، كان من جلة الفقهاء وأحد العلماء الأثبات وممن عُنِي بسماع الحديث، وتقدم في معرفة الأحكام، حصيف العقل على منهاج السلف المتقدم. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط/2، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، (مكتبة دار التراث، القاهرة، 1426هـ/2005م)، ج/2،ص189-190.

وممن جاز إلى الأندلس من الفاسيين عيسى بن يوسف بن الملجوم الزهراني (ت543هـ/1148م) وقد دخل الأندلس فلقى بقرطبة أبا عبد الله بن الطلاع[3]، وأبا بكر حازم بن محمد وأبا محمد بن عتاب، وغيرهم، ثم دخل الأندلس للمرة الثانية فلقى بإشبيلية أبا عبد الله بن شرين وكتب إليه أبو عبد الله الخولاني وأبو علي ابن سكرة وغيرهما[4].

ودخل يحيى بن محمد بن يوسف الأزدي (ت544هـ/1149م) الأندلس طالبًا للعلم فلقى بالمرية محمد بن موسى بن وضاح[5]، وروى عنه كتاب "تنبيه الغافلين" في الرقائق لابن السمرقندي، ولقى عبد الغفور بن أبي محمد النفزي وروى عنه تأليفه المسمى بـ"الشاهد" في الرقائق، وكان عاكفًا على الطريق الوعظية[6]، أما منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني (ت554هـ/1156م) حيث دخل الأندلس وسمع من أبي علي الصدفي في سنة 511هـ/1117م، "صحيح مسلم" وقرأ عليه "جامع الترمذي"[7].

وفتحت فاس أبوابها لعلماء الأندلس الذين فروا من المعارك التي شهدتها الأندلس لينعموا بالاستقرار والطمأنينة بعد إزدياد الزحف النصراني[8]، ومن هؤلاء العلماء، محمد بن أحمد

---

(1) هو: أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفي، قاضي محدث كثير الرواية. انظر: الزركلي: خير الدين الزركلي: الأعلام، ط5، (دار العلم للملايين، بيروت، 1980م)، ج/2،ص255.

(2) ابن الآبار: المعجم، ص62 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص84.

(3) محمد بن الفرج القرطبي المالكي المعروف بابن الطلاع (ت497هـ/1104م) مفتي الأندلس ومحدثها في عصره. انظر: الزركلي: المرجع السابق، ج/6، ص328.

(4) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص10 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص501.

(5) محمد بن موسى بن وضاح بن يزيع (ت286هـ/899م)، نزيل المرية، فقيه محدث توفى سنة 537هـ/1142م). انظر: الضبي: المصدر السابق، ج/1،ص77-78.

(6) ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص537.

(7) ابن الآبار: المعجم ...، ص203.

(8) ابن الآبار: التكملة ...، ج/2،ص20-21 ؛ المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، والسفر الخامس، القسم الأول، تحقيق: إحسان عباس، (دار الثقافة، بيروت،1965م)، ص582 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص263.

بن إبراهيم بن عيسى بن هشام (ت546هـ/1151م) وكان فقيهًا حافظًا عارفًا بأصول الفقه، صنف في مسائل الخلاف "تعليقه" المشهور في سبعة أسفار، وقد نزل بفاس وقعد بغرب جامع القرويين يدرس الفقه، ثم رحل إلى بلده جيان، فجلس بمسجده المنسوب إليه للوعظ والقصص مدة، ثم عاد إلى مدينة فاس عام 544هـ/1149م، وأقام بها يدرس الفقه وأصوله ومسائل الخلاف إلى أن توفى بها[1].

ومن علماء الأندلس الذين دخلوا فاس أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله ابن معاذ اللخمي[2] المعروف بـ(الفلنقي)[3]، كان مقرئًا وأديبًا وشاعرًا، رحل إلى قلعة حماد فقرأ بها، بها، ثم استوطن فاس[4]، وصار إمامًا في القراءات مشاركًا في علم العربية والأدب مع براعة الخط وجودة الضبط[5]، وقد تصدر للإقراء في مسجد الحوراء إلى أن توفى سنة (553هـ/1138م) [6]، ونزل القاضي السرقسطي محمد ابن حكم بن باق الجذامي (ت533هـ/1138م) مدينة فاس وولى أحكامها وأفتى بها ودرس العربية[7]، وسكن أحمد بن عبد الصمد بن عبيدة القرطبي المولود سنة (519هـ/1125م) غرناطة مدة وبجاية أخرى ثم استوطن مدينة فاس والتزم إسماع الحديث على معانيه، حتى صار من أعلام الدراسة بالقرويين[8]، وقيل إنه قدم فاس والتزم إسماع الحديث والتكلم على معانيه إلى أن

---

[1] ومن مصنفاته كتاب "أسرار الإيمان". انظر: المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس القسم الأول، ص582، 584 .

[2] ابن الأبار: التكملة ...، ج/2،ص20-21.

[3] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص263.

[4] المصدر نفسه.

[5] ابن الأبار: التكملة ...، ج/2،ص20-21.

[6] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص263 ؛ ابن الأبار: التكملة ...، ج/2،ص20-21.

[7] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص255-256 .

[8] له تصانيف ككتابه "آفاق الشموس" و"نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه" و"حسن المرتفق في بيان ماعليه المتفق فيما بعد الفجر وقبل الشفق" وغيرها. انظر: ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص141

توفى سنة582هـ/1186م [1]، ولما دخل أبو بكر ابن العربي الإشبيلي 468-543هـ/1075-1148م مدينة فاس أخذ عنه بها جماعة، وهو الذي له "تآليف لا تجهل فضلاً"[2].

حمل الوافدون الأندلسيون معهم علمهم وأدبهم وفنونهم وصناعاتهم وحرفهم[3]، حيث كانوا من أنشط عناصر السكان بعد استقرارهم فأسهموا مساهمة فعالة في نهضة حضارة فاس وتعزيز جانبها ورفدها بكثير من ألوان الحضارة المادية والمعنوية[4].

ثالثًا/ العلاقات بين فاس وبلاد المشرق:

حرص علماء فاس على توثيق علاقاتهم الثقافية مع إخوانهم بالمشرق فكان موسم الحج فرصة للالتقاء وطلب العلم وليس بعده هدف آخر يقصد لذاته[5]. كما أن الغرب الإسلامي كان مضطربًا قبيل قيام الدولة المرابطية اضطرابًا شديدًا مما أثر سلبًا على الحياة العلمية، نتيجة للضغط النصراني الأسباني المنظم على المراكز الإسلامية في الأندلس، وحالة الانقسامات والاضطرابات التي ارتبطت بقيام ملوك الطوائف[6]، وكذلك تعرض القيروان لهجمات العرب الهلالية التي أوقف مدها المرابطون عند المغرب الأوسط[7]، ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله "أن سند تعليم العلم قد كان ينقطع عن أهل

---

[1]روى عن أبي بكر ابن العربي وأبي جعفر بن عبد الرحمن البطروجي، وأبي عبد الله جعفر، وأبي مسعود بن أبي الخصال، وغيرهم. انظر: ابن فرحون : المصدر السابق، ج/1،ص197-198 .

[2]ابن القاضي : المصدر السابق ، ج/1،ص260-261 ؛ ابن مخلوف (محمد بن محمد): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م ،1350هـ/1931م)، ص136 وما بعدها.

[3]عبد العلي الوازني: المرجع السابق، ص166 .

[4]المرجع نفسه.

[5]بنعيسى بويوران: فضل الحج على العلم في المغرب الإسلامي (بحث ضمن ندوة مكة المكرمة تحت عنوان: فضل الحج على العلم، سنة (1426هـ/2005م)، ص242.

[6]إبراهيم بن محمد الحمد المزيني: رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي (ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بعنوان: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، 1418هم1997م)، ص338-339.

[7] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص424.

المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها... وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، واستبحر عمرانها، وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورها وما كان فيهما من الحضارة، فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً"[1]. وهذا ما جعل طلاب العلم في المغرب الأقصى بما فيهم طلبة العلم في مدينة فاس يعتمدون الرحلة للمشرق لطلب العلم.

بدأت الرحلات العلمية إلى المشرق في العصر المرابطي مبكرًا، فقد خرج الإمام يحيى بن إبراهيم الجدالي زعيم الدولة المرابطية، للحج وتردد على مجالس العلم، ثم عاد لنشر العلم سعيًا منه للقضاء على الجهل[2].

أدرك الفاسيون أنه لا سبيل إلى بلوغ مآربهم من العلم إلا بتوثيق الروابط العلمية مع المشرق منبع رسالة الإسلام[3]، لأن أهل "المشرق على الجملة . كما يقول ابن خلدون: "أرسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيسًا بفطرتهم الأولى ... لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع"[4]. لذلك لا غرابة أن وجدنا كثيرًا من الفاسيين يسافرون إلى بلاد الحجاز لأداء لأداء فريضة الحج ومن ثم لزيارة الشيوخ والعلماء للاستزادة من العلم أو لدوافع اجتماعية أخرى . بهدف الاغتراب والهروب عن السلطة والعز – حيث كان بعض الفقهاء والعلماء الذين انتهجوا الزهد طريقًا لحياتهم، يسعون للابتعاد عن السلطة والحكم، حين يكلفون بالقضاء أو الكتابة...ألخ_.

---

[1] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج/3،ص926.

[2] بنعيسى بويوران: المرجع السابق، ص243 .

[3] إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم ...، ج/1،ص121.

[4] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج/3،ص928.

عدَّ أهل فاس (خاصة علماءها) طريق الحج فرصة لدراسة الكتب والمؤلفات وعقد الحلقات ومجالس الدرس، ولكن للأسف لم تحظ رحلات علماء فاس بعناية المؤرخين واكتفى أغلبهم بذكر بعض من رحلوا إلى المشرق، ومن أبرز هذه المؤلفات "نفح الطيب" الذي حفل بالعديد من التراجم بلغت ما يقارب ثلاثمائة ترجمة[1].

رحل إلى **بلاد الحجاز** من علماء فاس الشيخ الفتوح الذي "خرج من فاس إلى مكة وجاور بها أكثر من ثلاثين عامًا ثم رجع إلى فاس وتوفى بها"[2]، وأبو عبد الله محمد الجزولي من أهل فاس "خرج للحج وأقام بالمشرق مدة أربعين عامًا يتنقل بين مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم رجع إلى فاس وتوفى بها"[3]، وممن فضل العودة إلى فاس الفقيه عباد بن سرحان (ت543هـ/1148م) رحل إلى المشرق وحج ولقى بمكة عدد من علمائها سمع وأخذ عنهم، كما دخل إلى بغداد ثم رجع إلى فاس ليتوفى بها[4]، وكذلك الشيخ أبي الحسن علي اللواتي 479-573هـ/1086-1177م، من أهل فاس، كان فقيهًا حافظًا مشاورًا مفتيًا، دخل الأندلس سنة 511هـ/1117م درس اللغة العربية، والحديث وموطأ مالك، لكنه لم يشبع حاجته من طلب العلم مما جعله يتوجه إلى المشرق للحج والاستزادة من العلم فـ"ساح في تلك البلاد، وأقام بالطور[5]"، ثم رجع إلى بلاد مصر، وركب القافلة

---

[1] المقري : ج/2،ص183ومابعدها .

[2] التميمي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، (منشورات كلية الآداب بتطوان، 2002م)، ج/2،ص133. لم تذكر سنة وفاته إنما ذكر أنه من معاصري الشيخ أبو الحسن علي بن حرزهم (ت559هـ/1163م).

[3] الذين ترجموا له لم يذكروا سنة وفاته. أنظر: التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص202 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص216-217.

[4] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص386.

[5] لا ندري أي الطور يقصد: فالطور في كلام العرب: الجبل ويقال لجميع بلاد الشام الطور، وذكر بعض العلماء أن الطور هو الجبل المشرف على نابلس؛ ولليهود فيه اعتقاد عظيم ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسماعيل فيه. وهناك كذلك جبل مطل على طبرية الأردن يسمى الطور، ولكن المرجح في النص حسب ما يرى التميمي، هو جبل الطور الواقع بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين الذي يقول عن ياقوت

ليعود إلى فاس برًا[1]، وهناك من الفاسيين الذين فضلوا البقاء والاستقرار في بلاد الحجاز، كأبي الحسن علي بن حمود المكناسي 490-573هـ/1096-1177م، أصله من مدينة فاس وبها ولد، رحل إلى المشرق سنة 512هـ/1118م فحج وروى عن مجموعة من علماءها كل من سنن أبي داود وصحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي، ثم عاد إلى فاس سنة 518هـ/1124م، ثم دخل الأندلس بنية الجهاد والرباط، وأخيرًا عاد إلى المشرق ثانية، وعين إمام المالكية بالحرم الشريف، وهذا دلالة لما وجدوا فيه من علم ودين وخلق، وتوفى بمكة ودفن بالصفا[2].

ومن علماء فاس الذين كان لهم دور في **بلاد الشام** و **القدس**، نذكر أبا محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرزهم (ت أواسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) وقد انقطع مدة **ببلاد الشام**، لقى فيها الإمام أبا حامد الغزالي ثم عاد إلى فاس، ومات بها. وخلال هذه الرحلة زار **بيت المقدس** وانقطع بقرية قريبة منه، فقدمه أهل تلك القرية للصلاة يؤم بهم في مسجد القرية، وهذه دلالة على غزارة علمه وشدة ورعه، ومما يؤكد ذلك أنه عندما كان مقيم في بيت المقدس أقبل عليه الإمام أبو حامد الغزالي في جماعة من تلامذته، فنزلوا في ذلك المسجد، وكان فيه عريش عنب قد ظهر فيه الحصرم، فقال تلامذته: اشتهينا حصرمة، فقال لهم: سلوا إمام المسجد على حبس عنب هذه الشجرة حتى يعلمكم، فسألوه فقال لهم: لا أدري، فأخبروا أبا حامد بذلك، فقال لهم: هذا مغربي له أعوام في هذا المسجد لم يتعرض لهذا العريش ولا عرف خبره، وأنتم من ساعة واحدة لم تملكوا أنفسكم[3]. ونستشف من هذه الرواية أن أبا محمد كان على اتصال مع الإمام

الحموي إنه "لايخلو من الصالحين". أنظر: معجم البلدان، ط/1، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت،1410هـ/1990م)، ج/4،ص46-47 ؛ التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص78.

[1]التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص77-78 ؛ ابن الآبار: التكملة ...، ج/3،ص244.

[2]التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص103 ؛ ابن الآبار: التكملة ...، ج/3،ص244-245.

[3]التادلي: المصدر السابق، ص94-95 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق ، ج/1،ص358-359 ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، (دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2004م)، ج/3،ص87_89.

الغزالي، وأن قدومه إليه مع طلبته لم يكن بمحض الصدفة، وما سؤاله عن العنب إلا ليبين لطلبته قيمة هذا الفقيه وخلقه.

كما كان لعلماء فاس دور مهم في بلاد الشام، غير طلب العلم تمثل في الدفاع عنها ضد الصليبيين[1]، فوافد المغاربة على المشرق استجابة لإرادة شعبية ملحة في المشاركة في الجهاد وتحرير المدن الإسلامية التي يسيطر عليه الصليبيون عمومًا وبيت المقدس على الخصوص[2]، كالفقيه عبد الله بن أحمد وشون الهذلي (ت529هـ/1134م) كان خطيبًا في جامع الأندلس بفاس، "خرج إلى الحج وجاهد في سبيل الله"[3]، وذاك ما نتلمسه في ترجمة الشهيد أبي الفضل العباس بن أحمد الذي "رحل إلى مكة واستوطنها ثم خرج إلى الجهاد في بلاد الشام، وتوفى في الغزو سنة 595هـ/1198م[4]، وهذا دلالة على استمرار دعم الفاسيين لإخوانهم المسلمين في بلاد الشام لرفع راية الإسلام والمسلمين.

ترجع أهمية **مصر** كمحطة أساسية في تنقل المغاربة ذهابًا وإيابًا إلى موقعها المتوسط بين بلاد المغرب والأقاليم المقدسة الإسلامية في الحجاز، فقد كانت مصر معبرًا ومستقرًا للعديد من أهل فاس، ومن أهم الجهات التي استأثرت بالدارسين والراغبين من أهل فاس في طلب العلم، إذ كان الراحلون ينزلون مدينة الإسكندرية كنقطة وصول القادمين من المغرب، ونقطة استقرار كثير منهم[5]، حيث يلتقون بالعلماء القاطنين فيها، ثم يواصلون رحلتهم بعد ذلك إلى مكة والمدينة، ومنهم من يدرس على علماء البلدين ثم يعود إلى بلاده، ومنهم من طاب له المقام في مصر مدة ثم عاد، فميمون بن ياسين اللمتوني، له

---

[1] علي أحمد: بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري (مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 15، سنة 2000م)، ص48-49.

[2] علي أحمد: القدس في نظر المغاربة والأندلسيين خلال العصور الوسطى (مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 9، سنة 1999م)، ص54-65.

[3] التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص207 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص419.

[4] التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص87 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص386-387.

[5] إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم ...، ج/1،،ص125.

رحلة حج درس خلالها الحديث بمكة سنة 498هـ/1103م [1]، وأبو جبل يعلى توجه إلى مكة فحج وجاور تسعة أعوام، ثم نهض إلى مصر، فكان يحضر مجلس أبي الفضل الجوهري (ت480هـ/1087م) [2]، في لفيف الناس لا يعرفه أحد، ثم انصرف إلى فاس، ويذكر التادلي أن أبا جبل تعرض في طريق عودته لحادث سمع به الناس وتحدثوا به . فهرب من الشهرة . وعاد إلى المشرق، فلما وصل مصر دخل جامع عمرو بن العاص وأبو الفضل يتكلم في جمع من الناس فلما رآه ناداه تعال يا أبا جبل: فلما دنا منه اعتنقه وأجلسه بإزائه، فرأى رجلاً قد سد باب المسجد بطوله وعرضه ودنا من أبي الفضل، فساره في أذنه وانصرف، فقال له أبو الفضل: أرأيته؟ فقال له أبو جبل: نعم، ولم يره من الحاضرين في المسجد غيرهما، فقال له: ذلك الخضر وقد قال لي: اقرئه مني السلام وبشره بأنه قد لحق بالأبدال، وقال أبو جبل: فلما بشرني بذلك اشتقت إلى أهلي وبلدي فاس فاستأذنته في الرجوع إلى الوطن [3]، والشيخ أبو يدو يعلى الذي خرج من فاس إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فأداها ثم استوطن الاسكندرية حتى توفى بها سنة 577هـ/1181م[4]،

أما محمد بن قاسم التميمي فرحل من فاس إلى المشرق، وأقام هناك خمسة عشر عامًا التقى خلالها بمائة شيخ، وقام بتدريس الموطأ في الإسكندرية[5]، وكذلك هاجر أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هاشم بن الحطيئة اللخمي الفاسي المولود بمدينة فاس سنة 478هـ/1085م بعد أن تلقى العلم بفاس إلى مصر، كان رأسًا في القراءات السبع، خرج

---

[1] ابن الأبار: التكملة ...، ج/2،ص196-197.

[2] ذكره في الغنية ووسمه بالواعظ، في ترجمة أبي بكر بن عطية الذي صحبه. انظر: القاضي عياض: الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض"، تحقيق: ماهر زهير جرار، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م)، ص190-191.

[3] التادلي: المصدر السابق، ص103.

[4] التميمي: المصدر السابق، ج/2،ص46-47 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص562.

[5] ابن الأبار: التكملة ...، ج/2،ص161 .

إلى الحج وبلاد الشام ثم استوطن مصر في جامع راشدة، واشتغل بنسخ الكتب إلى أن توفى سنة (560هـ/1164م)[1].

رابعًا/ العلاقات الثقافية بين فاس والمغرب الأدنى:

كانت مدينة **القيروان** دار علم بالمغرب، وإليها ينسب أكابر العلماء، وإليهم يشد الرحال لطلب العلم، ومن المعروف إن ارتباط المغرب وخاصة فاس بالقيروان يبدأ أواخر المائة الهجرية الثانية زمن الإمام إدريس الثاني عندما هاجر إلى مدينة فاس ثلاثمائة بيت من أهل القيروان فأسكنهم الضفة الغربية من المدينة واعتمروها إثر تأسيسها فصارت تنسب إليهم وعرفت باسمهم "عدوة القرويين"[2]، . كما ذكرنا سالفًا. بل إن الجانب العمراني في مدينة فاس خضع ولو جزئيًا لذلك الحضور على أساس إسهام البعض منهم في بناء بعض المؤسسات الدينية، ونقصد بذلك أم البنين فاطمة الفهرية التي بنت جامع القرويين، وأختها مريم التي بنت جامع الأندلس، فكان المسجدين من بركة القروانيين في فاس ، ويشرح بعض المؤرخون المغاربة أبعاد حضارة هذه الجالية، بأنهم كانوا أهل رفاهية ونجدة في مبانيهم وملابسهم وفرشهم فظلاً عن مطعمهم ومشربهم ، وكان أكثرهم صناع وتجار بالإضافة إلى ماكانت تتميز به عدوة القرويين عن عدوة الأندلس من الناحية الاقتصادية[3].

وهكذا نتبين أن هؤلاء الوافدين وضعوا اللبنات الأولى لبناء صرح العلاقات الثقافية بين فاس وإفريقية، بينما تجلت هذه العلاقات في الناحية العلمية بالخصوص منذ المائة الهجرية الرابعة، عندما بدأت الرحلة العلمية إلى القيروان للأخذ عن علمائها، غير أن

---

[1]ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط1، 1971م)، ج/1،ص152-153 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص116.

[2]المراكشي: المعجب ...، ص237 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص57. كما ورد لدى ابن أبي زرع في صفحة أخرى من نفس الكتاب ذكر قدوم خمسمائة فارس من القيسية والأزد ومذحج وبني يحصب والصدف وغيرهم سنة 189هـ. أنظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص35.

[3]ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص52-53.

التبادل الثقافي في هذه الفترة بالذات غلبت عليه المواد الإسلامية والفقه المالكي بالدرجة الأولى[1].

ومن أبرز علماء الفاسيين الذين قصدوا القيروان طلبًا للعلم على سبيل المثال لا الحصر، الفقيه عيسى بن سعادة الفاسي(ت355هـ/965م)، الذي تنازعت الفقهاء والمحدثون عليه بعد وفاته وكلهم يدعيه "ويقول: أنا أحق به" [2]، وما كان يتكلم في مسألة قط حتى يتقنها [3]، والفقيه دراس بن إسماعيل، من أهل فاس يكنى أبا ميمونة (ت357هـ/967م)، الذي أخذ عن كثير من علماء المالكية في المشرق[4]، وقرأ كتاب الموطأ بإفريقية على أبي بكر بن اللباد (ت333هـ/944م)، وكان يواظب على حضور مجلسه[5]، وفي طريقه للحج مر بمدينة الإسكندرية وأخذ عن مجموعة من الأئمة بها، منهم علي بن أبي مطر (ت330هـ/941م)، كما رحل إلى الأندلس وأخذ العلم عن فقهاء المالكية فيها[6]، حيث قام دراس برحلة إلى الحج وأخذ فيها عن علماء المالكية[7]، ثم دخل إلى إفريقية ومكث بها مدة ليست بالقصيرة ليواظب فيها الحضور في مجلس أبي بكر بن اللباد (ت333هـ/944م)[8]، وأخذ عنه ولاسيما كتاب الموطأ الذي كان يقرأه عليه. يقول عنه المالكي: "كان ابن ميمونة من الحفاظ المعدودين، والأئمة المبرزين من أهل الفضل

---

[1]محمد المنوني: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس (ضمن كتاب مجالس الأنس في الصلات العلمية بين المغرب وتونس، جمع وإعداد: محمد بن عزوز، شركة التراث الثقافي المغربي، (الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، 1432هـ/2011م)، ص109-110.

[2]القاضي عياض: ترتيب المدارك، تحقيق: علي عمر، (دار الامان، الرباط ، 1430هـ/2008م)، ج/3،ص298 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج/2،ص499.

[3]القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج/3،ص298 ؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، مج/2،ص80.

[4]الجزنائي: المصدر السابق، ص20-21.

[5]القاضي عياض: ترتيب المدارك ...، ج/3،ص126.

[6]ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م)، ص146.

[7]الجزنائي: المصدر السابق، ص20-21.

[8]القاضي عياض: ترتيب المدارك...، ج/3،ص8.

والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم، حتى كان يقال: ليس في وقته أحفظ منه، وكان نزوله عند ابن أبي زيد"، ويضيف القاضي عياض "أنه حدث بكتاب ابن المواز بالقيروان وسمعه منه ابن أبي زيد"[1].

أما ابن محسود الهواري عبد الله بن محمد الفاسي(401هـ/1010م) [2]، قاضي مدينة فاس، وأبو مروان عبد الملك الكوري(ت407هـ/1016م) [3]، فقد كانا من ضمن طلبة أبي أبي زيد القيرواني(ت386هـ/996م) في افريقية، وقد تميزت علاقته بالطلبة المغاربة من حيث كثرة عددهم، مع استمرارية اتصاله بهم بالمراسلة، مع كثرة الإقبال على دراسة مؤلفاته الفقهية، ذكر ابن الدباغ إنه "تفقه عليه جلة من القرويين والأندلسيين وأهل المغرب ..." [4]، إن هذا الارتباط جعل فقهاء المغرب الأقصى بما فيهم فقهاء مدينة فاس فاس يضعون كتابيه "النوادر" و "مختصر المدونة" موضع الاهتمام، حيث استمر تدريسهما إلى أيام الموحدين، وهذا ما أكده القاضي عياض في فقرة قصيرة يقول فيها بعد ذكر التأليفين "وعلى كتابيه هذين المعول بالمغرب في التفقه"[5]، كما أن كتاب "الرسالة" لأبي زيد القيرواني استمرت له الصدارة في المغرب حتى السبعينات الهجرية .

وكان الفقيه موسى بن عيسى بن أبي الحاج العفجومي المعروف بأبي عمران الفاسي(ت430هـ/1038م) ممن رحل من فاس إلى القيروان واستوطنها وصار في عداد مشايخها الكبار، ولد أبو عمران ونشأ في مدينة فاس من بيت" كانوا بين حسب وثروة وفقه وعلم وعدالة"[6]، وكذلك قول عبد الرحمن الفاسي عنهم "تولى القضاء بعضهم بفاس

---

[1] المصدر نفسه، ج/3،ص125.

[2] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/2،ص420.

[3] القاضي عياض: ترتيب المدارك ...، ج/3،ص410.

[4] معالم الإيمان تحقيق: عبد المجيد خيالي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ/2005م)، ج/3،ص136.

[5] ترتيب المدارك ...، ج/3،ص249.

[6] ابن الأحمر: المصدر السابق، ص44-45.

في أيام لمتونة وفي غير فاس من المغرب"[1]، ولاشك أن أبا عمران أكتسب فن الرواية بالقيروان بالملازمة الطويلة لشيخ القيروان أبي الحسن القابسي[2]، وغيره، ثم ازدادت قدمه رسوخًا بسماعه من علماء الأندلس، ثم عاد أبو عمران إلى بلده فاس محملاً برصيد علمي عظيم، وكانت قبلته كرسي التدريس بالقرويين تصدر للإقراء بالقرويين، وأقبل على دروسه جمهور الطلاب لما أظهر من تبحر في العلوم، وتوفيق في الإلقاء والتفهيم، كما التف حوله أهل فاس من الخاصة والعامة، وصار مرجعهم في كافة شؤونهم، وموئلهم في المدلهمات، وكان له صبر كبير على الإقراء، وقوة العمل[3]، ولما شاهد علماء وقته هذا النجاح الذي حصل عليه أبو عمران، وهذه المحبة التي تمتع بها من قبل أهل فاس، غاروا منه وحسدوه، وأخذوا يناوئونه، ويسعون في إدائه سرًا، فقرر أن يهاجر من بلده ويقصد مدينة القيروان التي سبق أن دخلها ودرس بها وشاهد لطف أهلها[4]، ويذكر ابن الأحمر السبب المباشر لخروج ابو عمران الفاسي من فاس إذ قال: "كان يأمر بالمعروف ويهى عن المنكر، وبسبب ذلك أخرجه من فاس الطغاة من أهلها العاملون عليها لمغراوة"[5]، وهناك رواية أخرى تذكر أن أبا عمران أفتى بتبديع جماعة كانوا يجتمعون في في مسجد بني بجبل فاس، كان يجتمع فيه أهل الزهد والعبادة فيقرأون القرآن، ويحكون

---

[1]ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم، تحقيق: خالد بن أحمد الصقلي ، (د.ن، المغرب ، فاس ، 1428هـ/2007م)، ص26 ترجمة رقم 24.

[2]الذهبي: المصدر السابق، ج/17،ص158-159.

[3]محمد البركة: فقه النوازل على المذهب المالكي "فتاوي أبي عمران الفاسي" (مطبعة أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2010م)، ص19-23.

[4]محمد الفاسي: أبو عمران الفاسي والعلاقات العلمية بين المغرب وتونس (مجلة المناهل ، العدد 17 ، السنة 1980م)، ص152-153.

[5]بيوتات فاس ، ص44.

حكايات الصالحين، وينشدون الأشعار، فقال أبو عمران: هذه بدعة لم تكن في الزمن الأول، ونهى عن حضوره[1].

وفي القيروان صار أبو عمران زعيم المالكية وشيخ الفتوى بها بعد أبي الحسن القابسي، حتى أصبحت تفد عليه وفود الطلبة من كل صوب، وما يهمنا هنا أن نعلم أن وكاك بن زلو اللمطي كان من ضمن الطلبة الدين وفدوا على الشيخ أبو عمران وأخذوا عنه بالقيروان وأستفادوا من علمه[2].

بعد أربعة قرون من سيادة المغرب الأدنى (القيروان) للعلم والعلماء تعرض للهجمة الهلالية في أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي فاندثر حضارته، فهاجر كثير من علماء مدنه إلى المغرب الأقصى الذي كان مستقرًا تحت الحكم المرابطي، لاسيما علماء القيروان الذين كان لدخولهم المغرب الأقصى ومدنه ومنها فاس أثر شديد الوضوح في تنشيط الحياة الثقافية.

من علماء القيروان الذين استقروا في فاس بعد تركهم لمدينتهم، محمد بن داوود (ت525هـ/1130م) وقد تولى قضاء فاس، وكان من أهل العلم والمعرفة والفهم، وله مسائل منثورة وقد حدث[3]، وهذا دلالة على أن ولاة الأمر من المرابطين كانوا يولون الأصلح فقهاًء وخلقًا وأوفر علمًا دون النظر إلى العصبية التي كانوا يعتمدون عليها في منصب ولاة الأقاليم. وأبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف النحوي (ت513هـ/1119م) التورزي الأصل، المنسوب إلى القيروان، وكان له معرفة بعلم الكلام

---

[1]ذكرها ابن فرحون في الديباج في ترجمة الحارث بن مسكين، ص177. قال: "وهدم مسجدًا كان قد بناه خراساني بين القبور بناحية المقطم في الصحراء وكان يجتمع فيه للقراءة والقصص والتعبير. قال: وبمثل هذا أفتى يحيى بن عمر في كل مسجد بنى نائبًا عن القرية حيث لايصلى فيه أهل القرية وإنما يصلي فيه من ينتابه، وبذلك أفتى في مسجد السبت في القيروان، وبمثله أفتى أبو عمران في المسجد الذي بني في جبل فاس". أنظر: البرزيلي: فتاوي البرزيلي، تحقيق: محمد الهيلة ، (دار الغرب الإسلامي 2004م)، ج/2،ص38. عبد الله كنون : ذكر مشاهير رجال المغرب (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت)، ص9-10.

[2]التادلي : المصدر السابق، ص66.

[3]القاضي عياض: الغنية، ص15 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص255.

على منهج الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد حاول أن يعلمه داخل مساجد فاس، غير أن قاضي فاس منعه من ذلك[1].

ومن القيروانيين الوافدين على فاس إثر هجمة بني هلال عليها، الأديب الشاعر أبو الطيب عبد المنعم بن منّ الله بن أبي بحر الهواري القيرواني (ت493هـ/1099م)[2]، ومحمد بن إبراهيم المهدوي (ت595هـ/1198م)، صاحب كتاب الهداية[3].

خامسًا/ العلاقات الثقافية بي فاس ومدن المغرب الأوسط:

كذلك كان لعلماء فاس علاقات وطيدة بعلماء **سجلماسة**، وكانت الحدود بين البلدين مفتوحة، حتى أن أمير المسلمين المرابطي تاشفين بن علي أمر بإحضار أبي عبد الله الأصم (ت542هـ/1147م) إلى مدينة فاس مع زميله أبي عبد الله الدقاق (ت آواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري)، ليعاقبهما على تهمة اتهما بها، ثم لما ظهرت برآتهما خلَّى سبيلهما وسرحهما، ويبدو أن الأصم طابت له الحياة في فاس، فأقام مدة أخذ فيها عنه جماعة[4]، أما صاحبه أبو عبد الله الدقاق فإنه ظل يتردد على مدينة فاس حتى وفاته[5]. كما دخل أبو اسحق إبراهيم بن خلف بن الحسن بن الوليد السلمي (ت537هـ/1142م) سجلماسة ولقي بها بكار بن زرهون ابن الغرديس سنة 493هـ/1099م فسمَّعَ عليه صحيح البخاري عن أبي ذر الهروي[6].

---

[1] التادلي: المصدر السابق، ص95-101 ؛ ابن الأبار: التكملة ...، ج/4،ص225 ؛ ابن مريم: المصدر السابق، ص229-304 ؛ التنبكتي: المصدر السابق ، ص349-351 ؛ ابن القاضي : المصدر السابق، ج/2،ص552-553.

[2] ابن بشكوال: المصدر السابق، مج/2،ص34 ؛ ابن الأبار: التكملة ...، ج/2،ص157.

[3] التادلي: المصدر السابق، ص332-334 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص273.

[4] التادلي: المصدر السابق، ص155 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص259 ؛ الكتاني: المصدر السابق، ج/3،ص127.

[5] هكذا وردت في التشوف. انظر: التادلي، ص156 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص260.

[6] ابن القاضي: المصدر السابق، ج/1،ص84.

وكان لعلماء مدينة **تلمسان** حضور في تاريخ مدينة فاس، ومنهم حسن بن إبراهيم بن عبد الله التلمساني المعروف بابن زكون (553هـ/1158م)، كتب بفاس عن عيسى بن يوسف بن الملجوم، وكان له تآليف في الرأي[1].

سادسًا/ العلاقات الثقافية بين فاس والسودان الغربي:

تعتبر الرحلة العلمية من **السودان الغربي** إلى المغرب في العصر الوسيط مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية [2]، وثمرة لظروف مشجعة في كلا البلدين،. فكانت سبل التواصل ممهدة بينهما، بفعل تواتر التبادل التجاري، الذي كانت مسالكه لا تقتصر على البضائع فحسب، وإنما تنقلت عبرها أيضا الأخبار والأفكار والرجال، فلم يكن ما يحول دون تردد طلاب العلم من السودان على المغرب، لينهلوا من حياض المعرفة فيه، بل إنه كان أكثر بلدان شمال الصحراء جذبا لهم، بالنظر إلى ارتباطات وطنهم التجارية والروحية والفكرية به.

والجدير بالذكر أن الإسلام عبر الصحراء إلى السودان الغربي عن طريق المغرب وبفضل المغاربة، الذين حملوا إليه المذهب المالكي كذلك [3]. فكان التأثير المغربي في **السودان الغربي** أكثر وضوحًا في تقاليده وثقافته، فكانوا يرتدون "عمائم بحنك مثل المغرب...ولبسهم شبيه بلبس المغاربة...وفي الركوب كأنهم من العرب"[4]، وكانت مدارسهم تكاد تكون مغربية قلبًا وقالبًا حتى في طريقة الكتابة، فالقلم المستخدم هو القلم المغربي، بل المناهج التي تدرس هي نفسها المناهج المغربية، تحتوي الكتب المالكية،

---

[1] ابن الأبار: التكملة ...، ج/1،ص217.

[2] انظر عن الرحلة العلمية في الإسلام: محمد غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص 208 – 217.

[3] عبد العزيز العلوي: "تأثيرات بلاد المغرب على حضارة السودان الغربي في العصر الوسيط": "الدين والفكر"، (أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، تخصص تاريخ، كلية الأدب سايس – فاس، 1999م)، الفصلان الثالث والرابع.

[4] القلقشندي: صبح الأعشى، ط1، (تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م)، ج/5،ص287 .

مثل كتب القاضي عياض[1]، وموطأ الإمام مالك والمدونة الكبرى للفقيه سحنون[2]، وغيرها من كتب المالكية[3].

فقد ظهرت تعاليم ابن ياسين المالكية في السودان، فعلى الرغم من أن الرحالة ابن بطوطة قد زار هذه المنطقة بعد عصر المرابطين بحوالي قرنين، ومع ذلك تحدث عن مدى مواظبتهم على الصلوات والتزامهم في الجماعات إلى غير ذلك من تعاليم عبد الله بن ياسين[4].

اعتمد المرابطون على دعاتهم في نشر الدين الإسلامي الحنيف، فكان عبد الله بن ياسين يرسل الدعاة بعد تدريبهم في رباطه إلى القبائل الملثمة والزنجية لترغيبهم في الإسلام[5]، وازدادت أهمية هؤلاء الدعاة بعد الفتوحات التي قامت بها الجيوش المرابطية، حيث كان الدعاة يأتون إثر الجيوش لتعليم الناس قواعد دينهم الجديد[6]، وبلغ إجلال الناس لهؤلاء الدعاة أنه لم يكن يعترض طريقهم أحد، رغم العداء القائم بين قبائلهم وإماراتهم، مما نتج من امتزاج بين التقاليد الإسلامية التي نقلها المرابطون والتقاليد الزنجية المحلية أدى بدوره

---

[1]من كتب القاضي عياض: كتاب "الشفا"، وكتاب "إكمال المعلم في شرح المسلم"، وكتاب "التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة"، وكتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" . انظر: أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بنشريفه،(د.ن، د.ت)، ص116 .

[2]هو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حسيب التنوخي، الملقب بسراج القيروان (ت240هـ/854م). انظر: الدباغ: المصدر السابق، ج/2،ص49 ،67 ؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج/1،ص249 ،290.

[3]الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م) .

[4]ابن بطوطة : تحفة النظار "رحلة ابن بطوطة" (دار بيروت ودار النفائس ، بيروت 1418هـ/1997م)، ص690-691 .

[5]عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م)، ص149 .

[6]توماس آرنولد: الدعوة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1390هـ/1970م)، ص391 .

إلى ظهور تقاليد إسلامية زنجية كان لها دور مهم في بناء الحضارة الإسلامية العربية وازدهارها .

انبثقت رابطة دينية وعلمية بين الطرفين، تمثلت على الخصوص في تردد العلماء المغاربة على "بلاد السودان"، ورواج كتبهم ولغتهم بها[1]. فلم يكن غريبا – والحالة هذه – أن يرحل طلبة السودان إلى المغرب قصد الدراسة فيه، ومعلوم أن الحركة العلمية عرفت في هذا العصر تطورا ملحوظا، بفعل الاحتكاك مع الأندلس والمشرق، فتعددت مراكزها، وكثر أعلامها، وتنوعت اهتماماتها، الشيء الذي كان عامل استقطاب لطلاب السودان الغربي، الذين كانت بلادهم لا تزال في مرحلة التلقي الفكري، وبالتالي بحاجة إلى نموذج معرفي للنهل منه والاقتداء به[2].

غير أننا مع الأسف نجهل كل شيء تقريبا عن بداية البعثات الطلابية السودانية إلى المغرب، ودرجة تواترها إليه، وظروف إقامتها به، وانعكاساتها على النشاط الفكري بالسودان الغربي، فلم تحفل الرحلات والكتب الجغرافية بهذا الجانب إطلاقا، مثلما لم تعره الحوليات المغربية أي اهتمام يذكر، وربما يرجع ذلك من أن المغاربة كانوا قادمين من أقاصي بلاد الإسلام، ومازالوا يتلمسون خطواتهم الأولى في الميدان العلمي، وقد انصب اهتمامهم الفكري بما هو مشرقي وأندلسي، وهذا ما نجد أثره واضحا في كتاباتهم، أما كتب التاريخ السودانية، فقد ألفت في وقت متأخر، وانصب اهتماما على التاريخ المحلي[3].

وعلى الرغم من ذلك فإننا مدينون إلى المصادر السودانية – وبالتحديد كتاب "تاريخ السودان" – بإفادتين عن رحلات طلاب السودان الغربي إلى معاهد العلم المغربية في العصر الوسيط، غير أن عبد الرحمان السعدي أوردهما بطريقة عرضية في سياق إسهابه في مواضيع أخرى، لهذا لم يحمل نفسه عناء إغنائهما بتفاصيل نحن في أمس الحاجة

---

[1] توماس آرنولد : المرجع السابق، ص391 –392.

[2] عبد العزيز العلوي: الرحلة العلمية من إمبراطورية مالي إلى فاس في العصر المريني (مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد350، السنة 1420هـ/2000م)، ص90– 94.

[3] المرجع نفسه.

إليها. وتعود الإفادتان المذكورتان إلى منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وبالضبط إلى عهد السلطان المالفكي كانكان موسى (707 – 733 هـ/1307 – 1332م)، الشيء الذي يتساءل معه الباحث عن واقع الرحلة العلمية السودانية إلى المغرب والعكس قبل هذا التاريخ وبعده. فمن غير المستحيل أن يكون هذا الأخير قد استقبل طلاب السودان قبل هذه الفترة، بالنظر إلى أن الإسلام انتشر في بلادهم منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ومن ثم قد تكون الرغبة في التحصيل العلمي اختمرت فيها قبل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وربما كان العصر المرابطي إيذانا ببداية التدفق الطلابي السوداني على المغرب، بتزامن مع توسع رقعة الإسلام بجنوب الصحراء [1].

يعود تميز الثقافة المغربية عن غيرها من الثقافات الإسلامية في هذا العصر، إلى تلقيحها بالثقافة الأندلسية، فظهرت خلاله مراكز فكرية بعدد من المدن الغربية مثل فاس وسبتة وسجلماسة ومراكش، وكانت هذه المدن في مستوى الاستجابة لرغبات السودان في التعلم والتحصيل، ومثل هذه القرائن هي التي دفعت بعض الباحثين إلى الاعتقاد بوجود حالات سابقة لتلك الوفود الطلابية التي ذكرها عبد الرحمان السعدي.

فقد ذهب إبراهيم حركات إلى "أن القرويين استقبلت منذ القرن الثالث عشر (الميلادي) أعدادا كبيرة من طلاب "بورنو وكانم". كما ذهب زملاء لهم إلى كل من القاهرة وتونس"[2].

ويقدر "J. Cuoq" من جهته، أن مثل هذه الأسفار العلمية لا تثير الاستغراب، لأن عرب وبربر "ولاتة" و"تنبكت" كانوا يتوجهون إلى مدينة فاس للدراسة في القرويين قبل عهد

---

[1]محمود كعت: "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، ترجمة وتحقيق هوداي ودولافوس، (باريس، ميزوناف، 1981)؛ السعدي (عبد الرحمان)، تاريخ السودان، ترجمة وتحقيق هوداس وبنوة، (باريس، ميزوناف، 1981م) ؛ مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشرة هوداس، (باريس، 1901م). هي مصادر كتبت على التوالي خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادي، وتجمع بين التاريخ الحديث وتراجم العلماء والحكام.

[2]طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط (مجلة دعوة الحق، العدد 269، أبريل – ماي 1988م)، ص189.

"كانكان موسى". ويضيف بأن، الصلات الفكرية والدينية بين ضفتي الصحراء تزامنت مع العلاقات التجارية وتبادل السفارات ويختم بالقول:"إذا كانت طريق التعبد توصل (السودان) إلى مكة، فإن طريق العلم والفكر تقود إلى المغرب، حيث كان السودان يشعرون بأنهم غير أجانب، مقارنة مع المشرق"[1].

نستخلص مما سبق: كان الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي واهتمام المرابطين وولاتهم بالعلم والثقافة وهجرة العلماء إلى فاس، لتسهم في نهضة الثقافة في فاس في عصر المرابطين، إذ وفرت لها مقومات جعلتها حاضرة من حواضر العالم الإسلامي فكثرت فيها مراكز العلم والتعليم، تلك التي كان لها معلموها وطلابها ومناهجها.

أن فاس خلال العصر المرابطي لم تعش بمعزل عن العالم الخارجي، بل كانت لها علاقات ثقافية وطيدة شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، وكل ذلك كان يحدث من خلال رحلات العلماء منها وإليها وسواء كان أصحاب هذه الرحالات فاسيين أو أندلسيين أو قيروانيين أو تلمسانيين أو غير ذلك.

كشفت الدراسة أن فاس لعبت دورًا مهمًا في نشر الثقافة الإسلامية في المغرب، حيث كان لها أثرها الثقافي في المنطقة المحيطة بها، وكذلك المناطق الإفريقية والأندلسية والمشرقية التي تتصل بها بعلاقة ما من العلاقات عبر تاريخها، وباتت مركزًا رئيسيًا للثقافة العربية الإسلامية لها مكانتها إلى جانب مراكز العلوم الإسلامية الأخرى، وأن العصر المرابطي كان بالنسبة لمدينة فاس الانطلاقة لحياة ثقافية شع نورها فيما بعد وكان له أثر مهم في حياة الأمة الإسلامية.

****

[1]Cuoq (j.), histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin de 16ème siècle. Paris. Geuthner, 1984. pp. 108 – 109. Voir aussi : konale (D). Les relations culturelles entre Fès et le Mali du 14ème au 16ème siècle. In Fès et l'Afrique : Relations économiques culturelles et spirituelles. Casablanca. Institut des études africaines de Rabat et la faculté des lettres et des sciences humaines. Saix–Fès.1995, p49.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة:

مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 9732 ميكروفيلم 10988). قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلي الجيلاني.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي ت658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، (دار الفكر، لبنان، 1415هـ/1995م).

ـــــــــــــ: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2008م).

أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، ط/2، تحقيق: محمد بنشريفه، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية، المملكة المغربية، 1982م).

ابن أبي زرع: (أبو الحسن علي الفاسي ت741هـ/1340م): روض القرطاس، ط/2، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، (المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/ 1999م).

ابن الأثير: (أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، ط/2، تحقيق: عبد الله القاضي،(دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م).

10-ابن الأحمر: (إسماعيل ابن الأحمر ت807هـ/1404م): بيوتات فاس الكبرا، (دار المنصور للطباعة والرواقة، الرباط، 1972م).

11-الإدريسي: (الشريف محمد بن عبد العزيز ت560هـ/1164م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مطبعة بريل، ليدن، 1866م).

12-البرزيلي: فتاوي البرزيلي ، تحقيق:محمد الهيلة ، (دار الغرب الإسلامي 2004م).

13-ابن بسام: (أبو الحسن علي ت542هـ/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م).

14- ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت578هـ/1182م): كتاب الصلة ومعه صلة الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م).

15-ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار "رحلة ابن بطوطة"، (دار بيروت ودار النفائس، بيروت 1418هـ/1997م).

16-البيدق: (أبو بكر بن علي الصنهاجي متوفى في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م).

17-التادلي: (أبو يعقوب بن يوسف بن يحيى ابن الزيات ت617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف، ط/3، تحقيق: أحمد توفيق، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م).

18-التليدي عبد الله: المطرب في مشاهير أولياء المغرب (د.ن، طنجة ، 1987م).

19-التميمي: (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي ت603-604هـ/1206-1207م): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، (منشورات كلية الآداب بتطوان، 2002م).

20-التنبكتي: (أحمد بابا ت1036هـ/1626م): نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، (منشورات دار الكتاب، طرابلس، 1421هـ/2000م).

21-الجزنائي: (علي الجزنائي، من أهل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): جنى زهر الآس، ط/3، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، (المطبعة الملكية، الرباط، 1429هـ/2008م).

22-الحنبلي: (عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب ط/1، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1986م).

23-ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، ط/4، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ/2001م).

24-ابن خلدون: (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت808هـ/1405م): مقدمة ابن خلدون، ط/5، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (نهضة مصر، القاهرة، 2010م).

25ـــــــــــ: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط/5، (دار القلم، بيروت، 1985م).

26-ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط/1، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1971م).

27-خير الدين الزركلي: الأعلام، ط/5، (دار العلم للملايين، بيروت، 1980م).

الدباغ، معالم الإيمان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ/2005م).

ابن دحية: (أبو الخطاب عمر بن حسن ت633هـ/1235م): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: أ.إبراهيم الأبياري وآخرون، (دار العلم للجميع، بيروت، 1374هـ/1955م).

الذهبي: (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت748هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، ط/1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، (مؤسسة الرساله، بيروت، 1417هـ/1996م).

31-السعدي (عبد الرحمان)، تاريخ السودان، ترجمة وتحقيق هوداس وبنوة، (باريس، ميزوناف، 1981م).

السلاوي: (أحمد بن خالد الناصري ت 1315هـ/1897م): الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ط/2، تحقيق: محمد عثمان، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ/2007م).

33-السيوطي: بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م).

34-الضبي: بغية الملتمس، ط/2، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م).

35-عبد الرحمن الفاسي: ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم، تحقيق: خالد بن أحمد الصقلي ، (المغرب ، فاس ، 1428هـ/2007م).

36-ابن عذاري: (المراكشي ت695هـ/1295م): البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، ط/3، تحقيق: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، (الدار العربية للكتاب حقوق الطبع والنشر لدار الثقافة، بيروت، 1983م).

37-ـــــــــــــ: البيان المغرب "قسم الموحدين" ط/1، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، (دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1985م).

38-ابن فرحون: (إبراهيم بن علي اليعمري ت 799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط/2، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، (مكتبة دار التراث، القاهرة، 1426هـ/2005م).

39-ابن الفرضي: (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ت403هـ/1012م) تاريخ علماء الأندلس، ط/2، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م).

40-القاضي عياض: (عياض بن موسى اليحصبي السبتي 544هـ/1149م): الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض"، ط/1، تحقيق: ماهر زهير جرار، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م).

41-ـــــــــــــ: ترتيب المدارك، تحقيق: علي عمر، (دار الامان، الرباط ، 1430هـ/2009م).

42-ابن القاضي: (أبو العباس أحمد بن محمد ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م).

43-القلقشندي: (أحمد بن علي ت 820هـ/1417م): صبح الأعشى، ط/1، تحقيق: نبيل خالد الخطيب، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م).

44-الكتاني: (محمد بن جعفر ت 1345هـ/1927م): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس

فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2004م.

45-مارمول: (كرفخال متوفى في آواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي): إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، (مكتبة المعارف، الرباط ، 1408-1409هـ/1988-1989م).

46-مجهول: (لمؤلف مجهول من كتاب القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (دار الرشاد الحديثة، الدرا البيضاء، 1979م).

مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، (نشرة هوداس، باريس، 1901م).

48-محمود كعت: "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، ترجمة وتحقيق هوداي ودولافوس، (باريس، ميزوناف، 1981م).

49-ابن مخلوف (محمد بن محمد): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م ،1350هـ/1931م)

50- المراكشي: (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ت703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، (دار الثقافة، بيروت، د.ت، السفر الأول، والسفر الثامن. والسفر الرابع، والسفر الخامس، والسفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1965م).

51-المراكشي: (عبد الواحد ت 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، (د.ن، القاهرة، 1963م).

52-ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م) .

53-المقري: (شهاب الدين أحمد المقري التلمساني ت1041هـ/1631م): نفح الطيب ، ط/1، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (دار الفكر، بيروت، 1419هـ/1998م).

54-النباهي: (أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي، كان حيًا سنة

793هـ/1390م): تاريخ قضاة الأندلس "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م).

55-النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت732هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق: حسين نصار، (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م).

56-الولاتي: (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق أبي عبد الله محمد ت1219هـ/1804م): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (تحقيق: إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م).

57-ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله ت626هـ/1229م): معجم البلدان، ط/1، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1410، هـ/1990م).

ثالثًا/ المراجع العربية والمعربة:

1-آرنولد، توماس: الدعوة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1390هـ/1970م) .

2-البركة، محمد: فقه النوازل على المذهب المالكي "فتاوي أبي عمران الفاسي" (مطبعة أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2010م).

3-بنعبد الله، عبد العزيز: مظاهر الحضارة المغربية (الدار البيضاء، د.ن ، 1958م).

4-ابن تاويت، محمد بن و الصادق، محمد: الأدب المغربي ط/2، (دار الثقافة، المغرب، 1978م).

5-حجي، محمد: جولات تاريخية (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م).

6-حركات: المغرب عبر التاريخ، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1430هـ/2009م).

7-ـــــــــ، إبراهيم: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 2000م).

8-حسن، علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مكتبة الخانجي، القاهرة ،1980م).

9-دندش، عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م).

10- السائح، الحسن: الحضارة المغربية "البداية والاستمرار"، ط/2، (منشوات عكاظ، الرباط، 2004م).

11- سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير، (دار النهضة العربية ، بيروت، 1981م).

12- السامرائي، خليل إبراهيم: علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية (منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1985م).

13-العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، (دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.)

عنان، محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (مكتبة الخانجي: القاهرة، 1996م).

15-غنيمة، محمد عبد الرحيم: تاريخ الجامعات الإسلامية، تطوان، (دار الطباعة المغربية، 1953م).

16-كنون، عبد الله: ذكر مشاهير رجال المغرب (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت).

17-محمود، حسن أحمد: قيام دولة المرابطين، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م).

18-المنوني، محمد: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس (ضمن كتاب مجالس الأنس في الصلات العلمية بين المغرب وتونس، جمع وإعداد: د.محمد بن عزوز، شركة التراث الثقافي المغربي، (الدار البيضاء، دار بن حزم، بيروت، 1432هـ/2011م).

19-مورينو، مانويل جوميت: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز، (د.م، د.ت).

20-مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس (دار النهضة العربية، القاهرة، 1989م).

رابعًا/ الأبحاث والمقالات:

1- أحمد، علي: القدس في نظر المغاربة والأندلسيين خلال العصور الوسطى (مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 9، سنة 1999م).

ـــــــــــ: بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري (مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 15، سنة 2000م).

بويوران، بنعيسى: فضل الحج على العلم في المغرب الإسلامي (بحث ضمن ندوة في مكة المكرمة تحت عنوان: فضل الحج على العلم، سنة (1426هـ/2005م).

الجحوي، محمد: التاريخ الفكري والثقافي للقرويين (مجلة دعوة الحق، مجلة تصدرها وزارة الأوقاف الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد الخاص عن جامع القرويين، تحت رقم 364، السنة 2002م.

حركات، إبراهيم: طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط (مجلة دعوة الحق، العدد 269، أبريل – ماي 1988م).

العلوي، عبد العزيز: الرحلة العلمية من إمبراطورية مالي إلى فاس في العصر المريني (مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد350، السنة 1420هـ/2000م).

الفاسي، محمد : أبو عمران الفاسي والعلاقات العلمية بين المغرب وتونس (مجلة المناهل ، العدد 17 ، السنة 1980م).

المزيني، إبراهيم بن محمد الحمد: رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي (ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بعنوان: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، 1418هم1997م).

الوزاني، عبد العلي: الدور الحضاري لمدينة فاس، (مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد الثاني، السنة السادسة عشر، 1393هـ/ 1973م).

خامسًا/ الرسائل العلمية غير المنشورة:

1- إبراهيم، محمد عادل عبد العزيز: أثر الأندلس الحضاري على المغرب (رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1406هـ/1986م).

2- حسن، نجوى أبو بكر محمد: فقهاء المالكية في الأندلس في عصر المرابطين وأثرهم في الحياة السياسية (رسالة ماجستير، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب

1424هـ/2003م).

3-العلوي، عبد العزيز: "تأثيرات بلاد المغرب على حضارة السودان الغربي في العصر الوسيط": "الدين والفكر"، (أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ، كلية الأدب سايس – فاس، 1999م).

سادسًا: المراجع الاجنبية:

1-Cuoq (J): Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin de 16ème siècle. Paris. Geuthner, 1984m.

2-Dozy (R): Histoire des Musulmans d'Esagne, Three vols, leyde, 1932m.

3-Edmond (B): Berberes et Arabes, Paris , 1942m.

4-Konale (D): Les relations culturelles entre Fès et le Mali du 14ème au 16 ème siècle, Casablanca. Institut des études africaines de Rabat et la faculté des lettres et des sciences humaines. Saix – Fès. 1995m.

5-Terrasse (H): La reviviscence de L`Acanthe dans l`art hispano-mauresque, sous les ALmoravides, al-Andalus vol.XXVI, fasc 2, 1961m.